قصص الحيوان في القرآن الكريم



حامد حسين الفلاحي

* * * * * * * * * * * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الغراب مع هابيل وقابيل

هذا طَيرٌ بعثَهُ اللهُ سبحانه إلى (قابيلَ بنِ آدمَ) ليُرِيَهُ كيف يُواري[1] أخاه (هابيلَ) بعدَ أن قتلَهُ !

بدأت القصةُ يومَ هبطَ أبونا (آدمُ) وزوجتُهُ (حَوّاءُ) -عليهما السلام- منَ الجنَةِ ، حدث ذلك بعد أن أزلّهما الشيطانُ[2] فأكلا من الشجرة التي حَرَّمَها اللهُ تعالى عليهما، وعلى الأرضِ وهَبَ اللهُ لآدمَ ولَدَيهِ (قابيلَ) و (هابيلَ) .

أمّا هابيلُ :

فقد كان ابناً صالحاً تقِياً، طيِّبَ النفسِ، سَليمَ القلبِ.

(١) يُواري : يدفن ، يخفي .

(٢) أزلّهما الشيطانُ : وسوسَ لهما وزيّنَ لهما الأكلَ من الشجرةِ .

وأمّا قابيلُ :

فقد كانَ خبيثَ النفسِ، ذا قلبٍ مَليءٍ بالحقدِ والشرِّ!

وذات يومٍ، أمَر آدمُ عليه السلامُ ولَدَيهِ أن يُقَرِّبا قُرباناً، أي:

أن يُخرِجَ كلٌّ منهما بَعضاً مِمّا يملكُ يقدِّمُه ابتغاء مرضات الله .

أمّا قابيلُ فقد كانَ فَلاحاً يزرعُ الأرضَ ، فأخذ من زرعِه أردَأهُ فقدَّمَهُ قُرباناً. وأمّا هابيلُ فقد كانَ راعياً يَرعى الغنَمَ فاختارَ كبشاً سَميناً مِمّا تعلّقت بهِ نفسُهُ فقدَّمَهُ .

وتقبّلَ الله سبحانه كبشَ هابيلَ لأنه قَدَّمَهُ ابتغاءَ وجه ربِّه، خالصاً له وحده، ولقد قدّمَ لله شيئاً كانَ يُحبُّهُ، وردَّ اللهُ سبحانه زَرْعَ قابيلَ ولَم يتقبلهُ لأنه لم يكن يبتغِ بهِ وجه اللهِ تعالى ! .



غـضبَ قـابيلُ ، وسَوّلَ له الشـيطانُ أنّ اللهَ فـضّلَ هابيلَ عليهِ، وأنّ عليه أن يقتُلَ أخاه ! .

وتوَعّدَ قابيلُ أخاه قائلاً :

(لأقـتُلـنّكَ) !!

وأجابَهُ هابيلُ :

(إنّما يتَقبّلُ الله منَ المُتقينَ) .

فلَو كنتَ صـالحـاً لتـقـبّلَ اللهُ قُربانَكَ، ولكنّ اللهَ سبحانَهُ يعلَمُ مافي نفسِكَ الخبيثةِ منَ الشرِّ والسّوءِ، فاسأل نفسَكَ :

لماذا لم يتقبّلِ اللهُ منك ؟

فربّما لذَنبٍ اقترَفتَهُ ، فَتُب الى اللهِ واستغفِرهُ .

ثمّ يمضي هابيلُ التقيُّ المُسالمُ يُذكّرُ أخاه بعذابِ اللهِ لِمَن طَغى واعتدى :

★ فقد أخبرَهُ أنّ الهَ لم يتقبَّل قُربانَهُ لأنه لم يكن من المتّقين .

★ وذكّرَهُ بما سَيَحمِلُهُ من إثمٍ إن هو قتَلهُ .

★ وخَوّفَهُ عذابَ النارِ يومَ القيامَةِ .

وبعَد هذا كلّه ، بعدَ الموعظَة والتذكير والتحذيرِ سَوّلَت لقابيلَ نفسُهُ قَتلَ أخيهِ فَقتَلَهُ :

(فأصبح من الخاسِرين)

خَسِرَ أخاه ،

وخَسِرَ الدنيا ، فما تَهَنأُ لقاتلِ حياةٌ .

وخَسِرَ الآخرةَ ، وقد باءَ باثمٍ عظيمٍ : قَتلُ نفسٍ بريئَةٍ بغيرِ حَقٍّ .

ووقفَ قابيلُ ينظر الى أخيهِ الـمَيّتِ ، لقد غدى جثّة هامدةَ ، لا حركَةَ فيها ولاحياة !

ماذا يفعَلُ بها ؟ هل يتركُها في مكانها ويعودُ الى بيتهِ ؟ هل يحمِلُها معه ؟ وماذا سيقولُ لأبَيهِ آدمَ ؟

وفي هذه اللحظة، وقابيلُ في حَيرَته، بعثَ اللهُ سبحانه (غُراباً) ألهَمَهُ فراحَ يحفُرُ في الأرَضِ ، وقابيلُ ينظرُ إليه، وهُنالكَ شعَر بعجزِهِ وضَعفِهِ وهوَ الذي كانَ يَظُنُّ نفسَهُ قوياً حينَ قتلَ أخاه !

هاهو عاجزٌ أن يكونَ في ذكاء هذا الغُرابِ فيحفُرَ حُفرَةً يُواري أخاهُ فيها، وهاهُوَ الغُرابُ الطيرُ الصغيرُ الضعيفُ ، يُعَلِّمُهُ !!

ألاما أضعفَ قابيل !؟

(قالَ ياوَيلَتا أعجَزتُ أن أكونَ مثلَ هذا الغُرابِ فَأواري سَوأةَ أخي فأصبَحَ منَ النادمين) .

وكانَت تلكَ أولَ جريمةِ قتلٍ للإنسان على الأرضِ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سورة المائدة

الآيـــات ٢٧ - ٣١

(واتلُ عَليــهِم نَبأ ابنَي آدَمَ بالحَقِّ إذ قَرّبا قُرباناً فَتُقُبِّلَ من أحَدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخَرِ قالَ لأقتُلَنَّكَ قالَ إنّما يتَقبَّلُ اللهُ من المُتقين • لئن بَسَطتَّ إليَّ يَدَكَ لتَقتُلني ماأنا بباسطٍ يَديَ إليكَ لأقتُلَكَ إني أخافُ الله ربَّ العالمين • أني أُريدُ أن تَبوء بأثمي وإثمكَ فتكونَ من أصحاب النّارِ وذلكَ جَزاءُ الظالِمين • فطَوَّعَت لهُ نفسُهُ قَتلَ أَخيه فَقَتلَهُ فأصبَحَ منَ الخاسِرينَ • فبعَثَ اللهُ غُراباً يبحَثُ في الأرضِ لِيُرِيَهُ كيفَ يُواري سَوأةَ أخيه قالَ ياوَيلَتا أعَجزتُ أَن أكونَ مثلَ هذا الغُرابِ فأواري سَوأةَ أخي فأصبَحَ من النّادمين •) .

صدق الله العظيم

واتلُ عليهم : أخبِرهم

نبأ : خبر

قرباناً : كلّ مايتَقَّربُ به العبدُ إلى اللهِ تعالى من العباداتِ والطاعاتِ والصدقاتِ .

بسطتَّ اليّ يدكَ : مَدَدتَها

بأثمي : إثمُ قَتلي إن قتلتني

وإثمك : ذنبك الذي بسببهِ لم يتقَبل اللهُ قُربانَك

فطَوّعت نفسُهُ : زَيّنَت له وشجّعتهُ على قتلِ أخيه

يبحث : يحفر

سوأةُ أخيه : عَورَتُهُ

ياوَيلَتا : يامُصيبَتي

الدروس والعبر

١- إنَّ اللهَ تعالى لايتقبَّلُ إلاَّ أعمالَ (المتقينَ)، المُخلصينَ في عباداتِهِم، الذين لايعبدونَ إلاَّ اللهَ، ولايبتغونَ بأعمالِهم إلاَّ وجهَهُ، ولا يُخالِطُ أعمالَهَم شِركٌ ولارِياءٌ، ولذلك تقبَّلَ اللهُ تعالى قربانَ هابيلَ ورَدَّ قربانَ قابيلَ .

٢- قَتلُ النفس من الكبائرِ، قالَ اللهُ تعالى (ومَن يَقتُل مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجزاؤهُ جَهَنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ اللهُ عليهِ ولَعَنَهُ وأعَدَّ لهُ عذاباً عَظيماً)[٣] وقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أكبَرُ الكَبائِرِ: إلاشراكُ باللهِ، وقَتلُ النفسِ وعُقوقُ الوالِدينِ ...)[٤].

---

(٣) سورة النساء - الآية ٩٣ .

(٤) رواه البخاري - كتاب الأيمان والنذور .

الأسئلة

السؤال الاول: لماذا تقبّلَ اللهُ قُربانَ هابيلَ وردَّ قربانَ أخيه ؟

السؤال الثاني : مَنِ الذي علّمَ قابيلَ كيفَ يُواري أخاه ؟ كيفَ ؟

السؤال الثالث : قَتلُ النفس من الكبائرِ ، هَل تعرفُ أنواعاً أخرى من الكَبائرِ ؟

السؤال الرابع : صِل بينَ الكلمةِ ومعناها :

نبأ	يحفر
يُواري	ذنب
يبحث	خبر
إثم	يدفن

السؤال الخامس : أيُّ الحيواناتِ الآتية وردَ باسمِهِ سورة في القرآن الكريمِ :

الغراب - النمل - الناقة - النحل - البقرة